توظيف أساليب الدراسات المستقبلية في بحوث الإعلام والاتصال

د/ ليلى فيلالي/ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/قسنطينة

ملخص:

يقل استخدام المنهج الاستشرافيفي الدراسات الإعلامية،لكن حتميات التجاسر بين العلوم الاجتماعية والإنسانية و علوم الإعلام والاتصالدعابفعل الحاجة المعرفية الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و النفسية واللغوية والتاريخية إلى الاستثمار في مجال الدراسات المستقبلية. فما أهمية هذا النوع من الدراسات وما دورها في توسيع دائرة البحث في مجال علوم الإعلام والاتصال؟

تعالج هذه الإشكالية في أربعة أجزاء، نتناول في جزئها الأول الاتجاه الكيفي وأهميته في الدراسات الإعلامية وننتقل في جزئها الثاني إلى القيام بتحديد معنى الدراسات المستقبلية ثم في جزئها الثالث نعطي خلفية تاريخية عن الدراسات المستقبلية ويخصص الجزء الأخير للاستخدامات المنهجية للاستشراف في بحوث الإعلام والاتصال.

Abstract

The use of the Prospectingapproach is less used in media studies, but the imperatives of boldness between social and human sciences with information and communication sciences have been called forinvestment in the field of future studies by the need of social, economic, political, psychological, linguistic and historical knowledge. So,what is the importance of this type of studies and what is its role in expanding research in the field of information and communication sciences?

This problem is addressed in four parts,the first section deals with the qualitativemethod and its importance in media studies. Atthe second part, we move on to define the meaning of future studies thenwe give a historical background on future studies in the third part.The latter section is devoted to the methodological uses of prospecting in information and communication research.

مقدمة

أفرز التداخل بين الدراسات الإعلامية و العلوم الاجتماعية و الإنسانية عدة أساليب ومقاربات جديدة هدفها توسيع أفق البحث الإعلامي و العلمي في جدلية عكست ضرورة البحث عن أطر منهجية تقنن خصوصية هذه العلوم لخدمة الحقيقة المبتغاة في البحث العلمي بواسطة تفردها بمناهج و أدوات إجرائية مثلما برز فيها علم الاتصال و فروعه. ورغم ذلك فقد استمرت الدوائر المنفصلة أحيانا والمتداخلة للأبعاد الاجتماعية و الإنسانية في الدراسات الإعلامية التي لا زالت تلتزم بالتبعية للحاجة المعرفية الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و النفسية واللغوية والتاريخية.

لقد باتت البحوث الاستشرافية من الحتميات و صارت ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لهذا تسعى الدول باستخدامها إلى بناء نفسها وتنمية سياساتها المختلفة ، حيث نلاحظ أن حظ الدول العربية يسير من الدراسات المستقبلية واقبالها عليها ضئيل جداً،لهذا هي في حاجة أشد إلى تكثيف المجهودات للاستثمار في مجال الدراسات المستقبلية، ومن هنا تنطلق إشكالية هذا الموضوع، فما أهمية الدراسات المستقبلية وما دورها في توسيع دائرة البحث في علوم الإعلام والاتصال ؟

فمن هنا تبرز أهداف هذاالمقال التي تدعو إلى توسيع دائرة علوم الإعلام والاتصال في بلادنا بهذا النوع من الدراسات. يقسم البحث إلى أربعة أجزاء، نتناول في جزئها الأول الاتجاه الكيفي وأهميته في الدراسات الإعلامية وننتقل في جزئها الثاني إلى القيام بتحديد معنى الدراسات المستقبلية ثم في جزئها الثالث نعطي خلفية تاريخية عن الدراسات المستقبلية ويخصص الجزء الأخير للاستخدامات المنهجية للاستشراف في بحوث الإعلام والاتصال.

1- الاتجاه الكيفي وأهميته في الدراسات الإعلامية:

تتميز البحوث النوعية بنوع من الحرية في ترتيب الأفكار والأوليات تبعا لمتطلبات الدراسة موضوع البحث. عكس الأبحاث الكمية التي تستدعي ممارستها اتباع التقنيات والأدوات المسطرة بكل حذر وتروّي، لأن أي هفوة أو تقصير في خطة المنهج المتبع تؤدي إلى نتائج خاطئة أو غير دقيقة في كثير من الأحيان، مما يدفع الباحث إلى إعادة النظر في بحثه.

لقد بدأ الاهتمام بالأبحاث الكيفية في السنوات الأخيرة لإعادة الاعتبار لهذا النوع من الدراسات في أوساط الأبحاث الأكاديمية الغربية و البلدان التابعة لها، بعدما حققت الدراسات الكمية انتشارا واسعا لا زال حتى اليوم يسيطر على أغلب بحوث الإعلام و الاتصال، و «التي كانت تعتبر حتى مطلع الثمانينات دراسات غير علمية.»[1]

نجد أن البحوث النوعية qualitative research قد أهملت تماما بحيث تمثل ذلك في قلة الكتب التي تتخصص في شرح منهجياتها، فلا يتجاوز إيراد بضع صفحات عن البحوث النوعية ضمن الحديث عن البحوث الكمية، وهي عادة ما تكون تغطية مختصرة جدا، وبنظرة دونية للبحث النوعي، وأنه فقط بحث مساعد للبحث

الكمي. وهذا لا يعني عدم وجود بعض الكتب النادرة، التي غطت أجزاء متعددة من المنهج النوعي كما هو حال بعض كتب علم الاجتماع.

يتجلى في الكتب الإعلامية كتاب محمد عبد الحميد 2000م "البحث العلمي في الدراسات الإعلامية" والذي أعطى البحث النوعي حيزا جيدا تحدث من خلاله عن المعالم الأساسية للدراسات الكيفية وأساليب البحث الكيفي والبحث النقدي.[2]

هناك كتاب "أساسيات البحث الكيفي: أساليب وإجراءات النظرية المتجذرة" : basics of qualitative research groundtheoryprocedures and techniques الذي ترجمه مركز البحوث ودراسات الإدارة العامة بالمملكة العربية السعودية والذي ألفه كل من ستراوس وكوربين Straus and Corbin, 1990. والكتاب الآخر يتحدث عن النماذج الأساسية للبحث العلمي وصدر بعنوان "البحث العلمي بنماذجه الأساسية: مقدمة المقدمات للبحوث التربوية والاجتماعية" لمؤلفه أحمد الصيداوي والذي صدر عام 2001م. كما أن علي القرني سبق له وأن ترجم كتابا عن: أساليب التحليل الإعلامي: تعدد الرؤية المنهجية. للمؤلف آرثر برجرArthur berger عن كتاب: media analysis techniques، وهذا الكتاب في الواقع لا يتحدث عن مناهج البحث، ولكنه يتحدث عن النقد الفني والمنهجي للأعمال والنصوص الإعلامية.[3]

يبدو-اليوم- أن المدرسة الأمريكية ذات التوجه الكمي الإمبيريقي قد بدأت تهتم بالبحث النوعي وبتدريسه في معظم التخصصات الإنسانية والاجتماعية خاصة في مجال الإعلام. حتى الجامعات الأمريكية التي عرف عنها توجهها الكمي الأمبيريقي مثل جامعة ولاية ميشجان وجامعة أوهايو وغيرهما من الجامعات الأمريكية التي تعنى بالتخصصات

الإعلامية قد أفردت للمنهجية النوعية المقررات اللازمة. وبهذا فلم يعد البحث النوعي هو توجه أوروبي فقط كما كان سابقا.[4]

وتتباين المقاربة الكمية عن النوعية على المستوى الفكري والإيبستيمولوجي انطلاقا من تباين الرؤية للعناصر التالية: غائية البحث، موضوعية البحث، أدوات قياس البحث، ودور القيم في التحليل العلمي.

إن النزعة الدائمة لتكميم الظواهر المدروسة لا تفقد البحث العلمي حصانته ودقته، دائما، بل تقوده –في الغالب– إلى الاهتمام بما هو عام، كما تبرزه الاحصائيات، لكنها تطمس ما هو خاص ونوعي. إن الاختلاف بين المناهج الكمية والكيفية لا يكمن في الجانب الإجرائي فقط، الذي جعل البحوث الأولى تسعى إلى تكميم المعطيات والبيانات والتعبير عنها إحصائيا، و دفع المناهج الثانية إلى محاولة استجلاء المعاني عبر تأويل المعطيات النوعية، بل يستند إلى أسس فكرية وفلسفية.[5]

إن القول بأن البحث الكيفي يسمح بالإحاطة الشاملة بالظواهر ويغوص في عمق تحليل المعطيات الاجتماعية، و أن البحث الكمي يعّد شكلا من التدقيق في سطح الحقائق الاجتماعية. يبدو غير كاف، وذلك لأن إدراك ماهية البحث الكمي، الذي يسمى، أيضا، البحث الصلب أو الثقيلhard methodology، والبحث النوعي الذي يُكنى بالبحث الخفيفsoft methodology يقتضي الاقتراب من الإطار الفلسفي الذي تشكلا فيه. إذتَنطلق البحوث الكمية من "المنظورparadigm" الوضعي الذي يرى أن الحقيقة الاجتماعية لا توجد سوى في حالتها الملموسة و المستقلة عن كل رأي أو موقف، وتنتظر أن تُستطلع وتُكتشف. و يُنظر إليها على أساس أنها ذات بُنية مغلقة تتشكل من عناصر قابلة للقياس. ولا يخفي على كل متتبع أن هذا

المنظور أفرز تصورات لماهية النظرية التي تساعدنا في الكشف عن موضوعية الواقع الأمبيريقي.[6]

يستخلص الباحث نصر الدين لعياضي مما ورد أن غاية البحوث الكمية هي شرح الظواهر وتفسيرها واستجلاء القوانين التي تسمح بتوقعها أو التنبؤ بوقوعها. وهذه القوانين تصبح كونية، بصرف النظر عن المكان والزمان الذي تُطبق فيهما. أما غاية البحوث الكمية فهي المعرفة. بينما البحوث الكيفية تستكثر هذا الأمر أو ترى أن المعرفة مفهوم نسبي وإشكالي، وتكتفي بالتأكيد على أن غاية البحث تكمن في إدراك كيفية المعرفة، وليس بلوغ المعرفة ذاتها؛ بمعنى أنها تسعى إلى فهم الظواهر و استعراض أشكال استيعابها عبر عملية التأويل. هذا مع إيمان البحوث الكيفية بأن هذا الإدراك يتوقف على كفاءة التأويل التي تتباين بين الأشخاص والمجموعة البشرية.[7]

إن التوجه نحو الأبحاث الكيفية أصبح مهما على المستوى المنهجي في الدراسات الإعلامية، وهو وجود مقاربات نوعية متميزة، غير متعارضة مع تلك الكمية. ذلك أن الخروج من التحليل الكمي، يتيح إمكانية التقاط أفضل لاختلاف طبيعة التأثيرات على المدى الطويل ،لأن تسليط الضوء على ما يمكن قياسه بصورة دقيقة يخلي مكانه للانتباه إلى التأثيرات التراكمية، المتبادلة والتسلسلية.[8]

كما أن إعطاء مساحات أكبر لهذه المناهج النوعية، يجب ألا يطرح تعارضا بين البحث الكمي والكيفي، «لأن الأمر الإيجابي أن نقرن مفهمة مختلفة للتأثيرات مع مفصلة أكثر تلاؤما لأدوات جمع المعطيات.»[9]

ويدل هذا الاستحداث المنهجي على اللاتعارض والوضوح الذي ينم عن الارتباط بين موضوعات تدعمها الأبحاث الكمية، لبروز بعض المنهجيات النوعية من

جهة أخرى، وهي تهدف جميعا إلى دراسة الصيرورات التي يقوم الأفراد من خلالها بتضمين التقنيات الاتصالية في خطط عملهم وأهدافهم ودوافعهم المتغيرة. لأن الأفق المعرفي المفتوح من قبل المقاربات النوعية موجه نحو الواقع الأكثر تعقيدا بحيث يحلل الظاهرة الإعلامية في سياقاتها المختلفة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وهكذا يصبح المنهج النوعي أداة لا غنى عنها من أجل بناء أكثر ثراء و تشبعا للصيرورة التي يتحول فيها الإعلام إلى أساليب و أدوات و مناسبات و مصادر، تشكل جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية، و من آفاقها المعرفية و من تجاربها التي يكسيها الإعلام بالمعنى.[10]

قد عكس- أيضا- التطور التاريخي المرجعية الفكرية المشتركة للعلوم الطبيعية والاجتماعية في جدلية أفرزتها ضرورة البحث عن أطر منهجية تقنن خصوصية العلوم الاجتماعية لخدمة الحقيقة المبتغاة في البحث العلمي بواسطة تفردها بمناهج و أدوات إجرائية مثلما برز فيها علم الاتصال و فروعه. ورغم ذلك فقد استمرت الدوائر المنفصلة أحيانا والمتداخلة للأبعاد الاجتماعية و الإنسانية في الدراسات الإعلامية التي لا زالت تلتزم بالتبعية للحاجة المعرفية الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و النفسية و اللغوية و التاريخية. «بمعنى أن طبيعة التناول البحثي ذاتها و هدفها و اتجاهاتها هي التي تعكس منحى الاهتمام سواء كان الاجتماع بظواهره أو التاريخ بأحداثه أو الجوانب النفسية و السلوكيةأو الاقتصادية أو البنى الأساسية السياسية أو الأدوات اللغوية و مفرداتها ظلت هي الخلفية المعرفية لظاهرة اتصالية تدرس في بعدها الموضوعي و الذاتي، أو سواء كان البعد الاتصالي هو الجزئية التي تتناولها الظواهر الاجتماعية الأخرى.»[11]

ويمكن تقسيم أساليب الدراسات المستقبلية وفق معايير متنوعة؛ ومن أشهر معايير التصنيف هذه هو تصنيفها حسب درجة اعتمادها على قياسات كمية صريحة إلى طرق كمية quantitative وطرق كيفيةqualitative، ولكن يعيب هذا التقسيم أن التمايزات ليست قاطعة بين ما هو كمي وما هو كيفي من طرق البحث المستقبلي. وكثيرًا ما يكون الفرق بينهما فرقًا في الدرجة لا في النوع. كما يندر أن تعتمد الدراسات المستقبلية الجيدة على القياسات الكمية وحدها دون اللجوء إلى الطرق الكيفية، على الأقل في مرحلة التحليل والتفسير والتوصل إلى استنتاجات.[12]

إذن يجب المزج بين الأساليب الكيفية والأساليب الكمية في الدراسات المستقبلية، حيث يندر أن تفي الأساليب الكيفية وحدها أو الأساليب الكمية وحدها بمتطلبات إنتاج دراسة مستقبلية جيدة. ومن جهة أخرى، ثبت أن تعدد الأساليب المستخدمة في دراسة ظاهرة ما والمزج بين نتائجها ، كثيراً ما يؤدى إلى نتيجة أفضل مما لو جرى الاعتماد على أسلوب واحد. وعموما يتيح المزج بين أساليب متعددة- كيفية وكمية- تجاوز قصور النظريات والنماذج التي تبنى عليها عن طريق اللجوء إلى أساليب كيفية لمحاكاة الواقع بتفاصيله وتعقيداته الكثيرة، وللتعرف على ردود الفعل المحتملة لبعض التصرفات من جانب الفاعلين في النسق محل الدراسة.

2- مفهوم الدراسات المستقبلية:

يعني مصطلح علم المستقبل futurology مزيجا من تنبؤات اجتماعية معينة تتعلق بالمجتمع الإنساني ومصير الإنسان فيه ويعد أيضا علما متناميا تتدرج فيه القوانين والمفاهيم ووسائل التنبؤ وقد كانت التطورات التي حدثت في نظرياته و مفاهيمه استجابة لتزايد التشابك والتعقد والتنافس ومعدلات التغيير في البيئة المحيطة بالإنسان.[13]

كما تعرف الدراسات المستقبلية بأنها مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية والعمل على إيجاد حلول علمية لها، كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل المتغيرات المتعددة للموقف المستقبلي والتي يمكن أن يكون لها تأثير واضح على مسار الأحداث في المستقبل.[14] وتعرف أيضا بأنها مجموعة من الدراسات والبحوث التي تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل مختلف المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في إيجاد هذه الاتجاهات أو حركة مسارها، أو أنها مجموعة الدراسات والبحوث التي تكشف عن المشكلات أو التي بات من المحتمل أن تظهر في المستقبل، وتتناسب بالأولويات التي يمكن أن تحدها كحلول لمواجهة المشكلات والتحديات.[15]

يُعنى استشراف المستقبل—إذن- بالتعرف على آليات الحركة و محدداتها و سبل ربط هذه الآليات ببعضها البعض، عن طريق القدرة في التحكم في المستقبل من خلال الاستعداد بمجموعة من المبادرات و الخطط المتراتبة لمواجهة الاحتمالات المختلفة، ومن ثم فالعمل المستقبلي يستهدف إحداث نقلة نوعية متمايزة بين الحاضر و المستقبل.

إن الماضي يلعب دوره أيضا في رسم صورة المستقبل و استشرافه بمد خطوط التواصل معه «فإذا كان الحاضر يتزود من الماضي و الماضي يتزود بدوره من الحاضر، والاثنين يمنحاننا بعض الآليات التي تبين الاتجاه نحو المستقبل. ولكن هذا المستقبل تتمخض عنه عواقب لا ندركها من قبل، مما يدفعنا إلى أن نكون مستعدين بصرامة و على الدوام لاستيعابها في حركة متفاعلة retro-action مستمرة، بحيث يكون للحاضر طاقات للتطور بفعل ذخيرة الماضي.»[16]

و بالتالي تكون علاقتنا مع الماضي ليست علاقة تأريخية و إنما مبدأ نعلل به تسلسل الوقائع و التحولات في ما بعد، لأن ذلك يجعلنا ندرك أن المستقبل ينحدر من الماضي و يجد عمقه فيه، و قد يتجاوزه و يضيف عليه كمشروع و إمكانية جديدة. و من الحاضر أيضا نشخص وقائع الماضي و حقبه و آفاق المستقبل و مراحله. فباسم الحاضر نميز بين ماض قريب أو بعيد، و مستقبل منظور. و يجب عندها أن يلتفت إلى ماض ما ينفك يمضي، و حاضر ما فتئ يحضر، ذلك أن الزمان الحقيقي، ليس انسياب الزمان، ولا حركة صيرورة، وإنما إقامة حاضر يمتد بعيدا نحو الماضي، و لا يكون تذكرا له فحسب، و إنما تنبؤا واستقبالا في هذا الزمان يتعاصر الكل و يتساوق و لا يتعاقب و يتلو بعضه بعضا.[17]

تقوم الدراسات المستقبلية على تصور خاص و منهجية متميزة في رسم ملامح مستقبل الظاهرة المدروسة، و يسمى هذا المجال بميدان استشراف المستقبل futurologie فهو ليس تكنها اعتباطيا و لكنه مسلك مشروع يعمد إلى استخلاص عناصر التوقع و اقتراح البدائل و الاستراتيجيات المستقبلية.

وتعتمد مثل هذه المشروعات على العمل الجماعي أو ما يسمى بغرف البحث المتكاملة على أساس احتواء أكبر قدر ممكن من فكر الخبراء في المجالات المختلفة. ولذا فإن استشراف المستقبل ما هو إلا جهدا جماعيا علميا منظما يستفيد إلى حد كبير من المعارف العلمية والمنهجية في شتى الميادين وينظر إلى الزمن القادم والواقع المستقبلي المتطور عبر فترة زمنية لا تزيد في العادة على عشرين عاما، ويقوم على فهم الماضي والحاضر والعوامل المختلفة التي أدت إليه بنظرة ثاقبة، وتعتمد بحوث المستقبل على توافر

البحوث وإعداد قاعدة المعلومات والبيانات المكانية(كمية ونوعية) التي تتطلبها عن الحاضر والماضي.[18]

وعليه فإن الدراسات الاستشرافية تعد صنفا من الدراسات الاستكشافية التي تعتمد على أسلوبين رئيسيين ،الأول منها يتعلق باستقراء الواقع induction من خلال رصد دقيق لواقع الظاهرة وتاريخ ظهورها والعوامل التي تؤثر فيها وعلاقاتها بالظواهر الأخرى في المجتمع. ويتعلق الأسلوب الثاني بالاستدلال والاستنتاج déductionأي رسم تصورات وتوقعات لتطور الظاهرة مستقبلا، وكلما كان الاستقراء دقيقا كان الاستدلال صادقا ويتسم بالثبات والمصداقية ، وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات الاستشرافية تزدهر في فترات التحولات والتغيرات سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الدولي، كما يطلق عليها أيضا مصطلح دراسات التخطيط لاهتمامها البالغ بوضع أبعاد وخطوط عامة للتخطيط المستقبلي لظاهرة ما من الظواهر في المجتمع خلال فترة أو فترات زمنية معينة.[19]

إن الفرنسيين يسمون الدراسة العلمية للمستقبل باسم"استشراف" prospective بينما الأنجليز يسمونها "التنبؤ" prognosis و يفضل كورنيشCornish - كمستقبلي بارز- استخدام مصطلح "الريادات المستقبلية"futuristics بدلا من مصطلح "المستقبلية" حيث يعرفها بأنها «ميدان نشاط يعمل على تحديد التغيرات المستقبلية المحتملة».[20]

ويعرف إدوارد كورنيش الاستشراف بأنه :«مصطلح عريض جدا يمكن استخدامه في الكلام ذي التوجه المستقبلي والقضايا الخاصة وفي الأعمال. ومازال هذا المصطلح أقل انتشارا حاليا في الأوساط الأكاديمية من مصطلح الدراسات المستقبلية مما

يعطي انطباعا خاطئا في الأوساط غير الأكاديمية، ومن المصطلحات المستخدمة أيضا البحوث المستقبلية، علم الاستشرافية وغيرها من المصطلحات.[21]

3- مقترب تاريخي عن الدراسات الاستشرافية:

إن الاهتمام بالدراسات والبحوث المستقبلية اهتمام قديم يمتد بجذوره إلى مراحل مبكرة من تاريخ الفكر الإنساني، وربما كان ذلك في مقدمة هذه الدراسات كتاب "مدينة الله" للقديس أوغستينSaint augustine، الذي يعرض فيه أفكاره عن تلك المدينة التي تقوم على أساس العدل و المساواة.كما ظهر أيضا هذا الاهتمام بشكل واضح في كتاب ابن خلدون "المقدمة" الذي نشر في القرن الرابع ميلادي. وقد ظهر في نهاية القرن السادس عشر الميلادي كتاب الفيلسوف الانجليزي فرانسيس بيكون Francis bacon المعروف باسم "أطلنطا الجديدة" وهو يطرح رؤية مستقبلية للعالم من خلال تصوره لمجتمع جديد يعتمد عل العلم كوسيلة سياسية لتغيير العالم والسيطرة على الطبيعة وتحقيق مستويات معيشية أفضل للبشرية.[22]

لقد رافق البعد المستقبلي مذاهب الفلاسفة وأصحاب الرؤى منذ فجر التاريخ وتعددت ظواهر استشراف الإنسان لآفاق الزمن بداية بنظرات الحكام إلى المستقبل من قبيل الطوباويات أو المدن الفاضلة ومرورا بأحلام اليقظة التي يصوغها الفلاسفة وحتى رؤى الأديان للمستقبل النهائي، وقد بدأت إرهاصات دراسة المستقبل في شكل علمي منظم في أواخر القرن الخامس عشر في مؤلفات توماس مور Thomas more (1478-1525) والفيلسوف البريطاني فرنسيس بيكون Francis bacon (1561-1626)والأديب الفرنسي برنار دي فونتنالBernard de fantanelle (1657-1757) والكاتب الفرنسي سباستيانميرسيهSébastien mercier

(1770-1903) في سلسلة مؤلفاته التي تنبأت بعدد من الاكتشافات الحديثة ولا يضارعه في هذا المضمار إلا الكاتب البريطاني المخضرم جورج ويلز (1866-1949).[23]

وقد نجد البعض الآخر يعتقد أن أول محاولة لاستطلاع مستقبل الجنس البشري على أسس علمية ترد إلى القرن التاسع عشر، وهي خاصة بمستقبل سكان العالم وذلك للإنجليزي توماس مالتوسThomas malthus (1766-1834)، الذي عرض في دراسته الشهيرة (نمو السكان). و شهدت الأربعينيات من القرن الماضي إقبالا ملحوظا على البحوث والدراسات المستقبلية خصوصا في أوروبا والبلدان الصناعية وتمثل هذا الاقبال في تزايد عدد العلماء والمشتغلين بالدراسات المستقبلية من جانب، وفي إنشاء العديد من مراكز البحوث المستقبلية، ثم في صدور الكثير من المؤلفات المهتمة بهذا المجال من جانب آخر. وأخذت الدراسات المستقبلية تحظى بالاهتمام الأكبر والانتشار الأوسع وتتجه إلى النظرة الشمولية في تصورها للمستقبل، ثم توالت بعد ذلك موجات متتابعة من الأعمال المتخصصة في ميدان الدراسات المستقبلية.[24]

نستطيع القول بأن التحولات والتغيرات الجذرية الكثيرة التي أصابت الحياة والإنسانوالمجتمعات الغربية، وخصوصا تلك التي أثرت عليها بشكل مباشر قد غيرت من نماذجالتفكير الإنساني بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الباردة بينالاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأميركية ، ويعود إليها السبب الرئيسيوالمباشر لتوجه عالمي غربي نحو أساليب التفكير والتخطيط الاستراتيجي، ومنها الوضع مناهج علمية وأكاديمية للدراسات المستقبلية والاستشراف خلال العقود الخمسةالأخيرة من القرن

العشرين، بهدف مواجهة تلك المتغيرات والأزمات التي استجدت وسبلمواجهتها بالإمكانيات المتاحة أو من خلال خلق إمكانيات جديدة.

وشهدت المجتمعات الأمريكية والأوروبية منذ الأربعينات طفرة كبيرة في أعداد المؤلفات المنتمية لهذا الميدان فظهر مؤلف هيرمان كاهانHerman kahan "عام 2000"، ومؤلف دانيال بالDaniel bell (1919-2011) "في الطريق إلى عام 2000" ومؤلف تشارلز جالتون داروينCharles galtondarwin (1887-1962) "المليون سنة التالية" وكتاب جورج سولGeorge soul "صورة الغد" وكتاب جورج راسلGeorge russel "ماذا يكون الإنسان بعد ذلك".[25]

ومن الكتاب والعلماء الذين أسهموا في وضع أسس المستقبلية كعلم برتراند دي جوفينيلBertrand de joavenel، ومن أشهر كتبه "فن التوقع المستقبلي" The art of conjecture الذي نشر عام 1945م، ودانيل بلDaniel bell وكتابه "نهاية الأيديولوجيا" الذي نشر عام 1960م، ودراسته المنشورة عام 1967م بعنوان "نحو العام 2000".[26]وكان هيرمان Herman kahan يمثل التيار التفاؤلي بين علماء المستقبل من خلال أهم دراساته المستقبلية منها "العام 2000:إطار للتفكير حول الثلاث والثلاثين سنة القادمة"، وكتاب "المئاتي سنة القادمة سيناريو لأمريكا والعالم"، وفيه يعبر عن وجهة نظره التفاؤلية في الحقب الزمنية المقبلة، ثم الكاتب ألفين توفلرAlvin toffler الذي نشر "صدمة المستقبل" عام 1980 وترجم إلى عشرين لغة وبيعت منه 6ملايين نسخة ثم أشرف على نشر كتابين "المدرسة وسط المدينة ،التعلم من أجل الغد"، وله كتاب بعنوان" الموجة الثالثة"، عام 1980 وقد خصصه لمجتمع مابعد الصناعة.[27]

إلا أن عالم الاجتماع س.س.جليفان هو أول من طرح أُسسا للدراسات المستقبلية بمعناها الاصطلاحي المعاصر عندما اقترح عام1907م أن يسمى هذا الحقل من الدراسة (ميلونتولوجي) milontologie وهو اسم مشتق من الاصطلاح الإغريقي الذي يطلق على أحداث المستقبل وقد حظي هذا التعبير بقبول متواضع في ذلك الحين ثم صار في طي النسيان.[28]

و طرح أوسيب فلشتاينOssipflenchtchien -العالم الألماني الاجتماعي- خلال عام 1943 في أبحاثه اصطلاح علم المستقبلfuturology مشتق من اللاتينية Futurms بمعنى مستقبل، وكتب عن ظهور جديد و رغم أنه أخذ بالتبلور وفي طريقه لأن يصبح علما قائما بذاته.[29]

بينما ينسب إلى العالم جاستونبرجر Gaston berger استخدام كلمة "استشراف" Prospective في سياقالدلالة عن التطلعات نحو المستقبل والتخطيط له بطريقة أو بأخرى ، أيضا تشير بعضالدراسات إلى أن العالم الفرنسي برتراند دي جوفينيل Bertrand de joavenelاستعمل مصطلح futuribles ليقصد به المستقبلات الممكنة، وذلك بالنظر إلى أنها تتكون من شقين: الأولfutures ويعني المستقبلات والثاني possibles ويعني الممكنة.[30]

ولا يفوتنا الإشارة إلى الدراسة الرائدة التي أنجزها المفكر المغربي المهدي المنجرة تحت عنوان :"الحرب الحضارية الأولى : مستقبل الماضي وماضي المستقبل"[31]، وقام فيها المؤلف بتحليل معطيات الماضي والواقع واتجاهات الأحداث نحو المستقبل بمنهج استشرافيعلمي يسلط الأضواء على ما جرى ويجري داخل منطقة الخليج والعالم العربي

الإسلامي والعالم الثالث استنادا إلى الأبعاد الأربعة : العسكرية والحضارية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية لحرب الخليج الثانية .

وقد دعا المهدي المنجرة إلى ضرورة الاهتمام بالدراسات المستقبلية في الدول النامية التي تشهد ضعفا صارخا في إطار صناعة القرار بالمنطقة العربية على وجه التحديد ، لأن مستقبلنا ليس بأيدينا وماضينا ليس بأيدينا أيضا، «فنحن يلزمنا حسب التقديرات ستون سنة لدراسة ماضينا، في هذا الوقت الغرب لا ينتظرنا، فقد درس مستقبلنا ولديه توقعات حولنا ويتصرف على هذا الأساس .فنحن بدون ماضي وبدون حاضر ومستقبلنا مرهون، وهذه قضية خطرة للغاية.»[32]

نجد أن هناك من يرجع بروز هذه الدراسات المستقبلية وتعاظم الاهتمام بها إلى عاملين رئيسيين هما: "أزمة النظام الرأسمالي والتقدم العلمي والتقني". وقد أسفر العامل الأول عن ظهور كتابات، حاولت أن ترسم صورة أفضل لمجتمع الغد، تعتمد على مظاهر التقدم العلمي والتقني. أما العامل الثاني وهو تطور أدوات المعرفة والقياس، وتطور أساليب تحليل النظم كتطور الأدوات المعرفية"، فقد أعطى دفعة قوية للدراسات المستقبلية. وإلى جانب هذين العاملين هناك عامل آخر، لا يقل أهمية، وهو ظهور عدد من الدول الناشئة الجديدة التي تبحث عن وسيلة للتغلب على التخلف الاقتصادي والاجتماعي لديها، والتي وجدت في دراسة المستقبل وسيلة للتنبيه على السلبيات المعتمدة حالياً، وكيفية اختيار سياسات بديلة لدرء تلك السلبيات في المستقبل.[33]

نستنتج أن الدراسات المستقبلية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لم تتعدى إطارها الفلسفي والنظري إلى إطارها العلمي والأكاديمي "المنهج" حتىتأسست مجموعة الرواد من المستقبليين الجدد في النصف الثاني من القرنالعشرين، وذلك بصدور مجموعة

مؤلفات رسمت معالم هذا الحقل العلمي كما سبق وأشرنا،فكانت البدايات العلمية الحقيقية لهذا العلم قد ظهرت في بريطانيا خلال القرنالتاسع عشر، ومن هذا الإطار يمكن التأكيد على أن مناهج الدراسات المستقبليةوتطبيقاتها العلمية الراهنة كانت غربية، لأن الغرب كانوا الأوائل في التأصيل المنهجي، بينما يعود الأصل التاريخي للدراسات المستقبلية والاستشراف إلى علماءالمسلمين بوجه عام والعرب منهم على وجه الخصوص، مع عدم إهمال دور الفلاسفةوالفلسفة الإغريقية في هذا الجانب.

4- منهجية البحوث الاستشرافية:

تخضع المستقبلية لأسلوب علمي و منهجي يحاول استكشاف المستقبل على المدى القصير أو الطويل. «و تستند المستقبلية إلى الوقائع و الأحداث و التحاليل الموضوعية لتحديد مختلف الاحتمالات التي يمكن أن تحدث في مستقبل قريب أو بعيد. و تحاول هذه الدراسات –بالانطلاق من البنى و الاتجاهات السائدة في النظام الدولي المعاصر– وضع تصور للمستقبل».[34]

ونميز في التحليل المستقبلي بين نمطين من الدراسات المستقبلية: يسمى النمط الأول بالنمط الاستطلاعي أو الاستكشافي exploratory type ويهدف أساسا إلى استكشاف صورة المستقبل المتوقع أو المحتمل أو المستقبل الممكن تحقيقه، ويقابل هذا النوع النمط المعياري normative type وفيه يتخطى الباحث المستقبل المتوقع والممكن تحققه إلى رسم صورة المستقبل المرغوب في تحقيقه.[35]

وتعتمد المستقبلية بسعيها في نطاق المركز إلى اكتشاف المستقبل لمعطيات الحاضر التي تهتم بفئتين من الأحداث، و تمثل الفئة الأولى « الاتجاهات الثقيلة les tendances lourdes التي تتكون من جملة التحولات المتراكمة عبر الزمن و التي

تنتهي بإحداث تغيرات هامة.»[36] بمعنى أنها اتجاهات كبرى تتكون من مجموعة المعطيات التي تبدو محتملة ومتوقعة للتطورات المستقبلية ، أما الفئة الثانية و تدعى بالوقائع الحاملة للمستقبل les faits porteurs d'avenir، و يعرفها هانريغليوم guillaumeHenri بأنها «الاستحداثات التي لا يعبر وزنها الإحصائي عن دورها و لكن سرعان ما تكون قادرة على إحداث تغيرات على الاتجاهات المهيمنة و السائدة على مدى يكون على الأقل بعيدا».[37] أي أنها تتشكل من الواقع الجنيني الذي لم يدرك بعد و الذي ستتأكد أهميته في المستقبل بانعكاساته البعيدة المدى.

يمكن أن نميز بين ثلاثة مستويات للاستشراف: مستوى التخمين conjecture أو التأمل المنظم عقليا، ومستوى فاعلية التنبؤ Forecast الذي يأخذ في الحسبان الاحتمالات الخاصة بتوا تر وقوع حادثة معينة لتحقيق درجة من استشراف المستقبل، ومستوى القدرة على التنبؤ prediction بحيث يتعرض إلى تشخيص المتغيرات التي تطرأ على الظاهرة و التوصل إلى نتائج محدودة قبل أن تستنفذ الحالة الجديدة سياقها.[38]

تعتمد الدراسات الاستشرافية في التعريف بالاتجاهات المستقبلية لظاهرة مختارة على مجموعة من التقنيات هدفها الأساسي إثبات قوة هذا النوع من الدراسات باعتمادها على الاعتبارات الممكنة لنتائج السياسات الجارية و تكشف عن الادّعاءات التي هي وراء التنبؤات. حيث « تتمثل هذه الأساليب المنهجية و التقنيات المتبعة في البحث في تحليل المحتوى لوسائل الإعلام الجماهيرية، وتحليل امتداد السوق، و تقنية المسح لدالفي Delphi surveys و أسلوب السيناريو Scenario Writing.»[39]

ويعد منهج دلفي Delphi method منهجا منظما ومصمما بطريقة عامة تقوم أساسا على استطلاع رأي مجموعات من الخبراء حول موضوع الدراسة، وأسلوب النموذج model الذي يقوم على صياغة رياضية يمكن بواسطتها تمثيل شكل عمليات النمو عبر الزمن لمتغيرات اقتصادية واجتماعية، أما منهج الاستكمال الخارجي Extrapolation method فيقوم على تقدير ظاهرة معينة في المستقبل عن طريق استكمال الاتجاهات المستقبلية للمتغير وقيمته اعتمادا على الاتجاهات والقيم الماضية له.[40]

خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي، وما قبله، شاعت العديد من الأساليب التي استخدمت للتنبؤ بالمستقبل، بغرض اتخاذ القرارات، ورغم أنها تدخل في العملية الإدارية الذهنية المعروفة بالتخطيط، ورغم أنها أصابت قدرًا من النجاح في مساعدة المخططين على التنبؤ بالمستقبل، واتخاذ قرارات رشيدة بصدده، إلا أنها عُدّت وسائل تقليدية للتنبؤ بالمستقبل، عند مقارنتها بالطرق والتقنيات الحديثة في هذا المجال. ومن الأساليب التقليدية للتنبؤ بالمستقبل ما يلي:[41]

1. أسلوب التنبؤ عن طريق التخمين الذكي: ويعتمد هذا الأسلوب على الطريقة الحدسية التي يستخدمها الفرد في تقدير بعض جوانب المستقبل. لكن مثل هذه التنبؤات قد يصادفها الفشل أكثر من النجاح.
2. أسلوب استقراء الاتجاهات: ويعتمد هذا الأسلوب على أن الاتجاهات التي ثبتت في التاريخ القريب سوف تستمر في المستقبل، ويفترض هذا الأسلوب أن القوى التي كانت تؤثر في تشكيل الاتجاه في الماضي سوف يستمر تأثيرها في المستقبل، وتظهر نقطة الضعف في هذا الأسلوب في أنه يفترض أن القوى التي كانت تؤثر في

الماضي سوف يستمر تأثيرها في المستقبل بنفس الدرجة، وللتغلب على نقطة الضعف السابقة أمكن عن طريق الطرق الإحصائية ابتكار أساليب فنية جديدة لاستقراء الاتجاهات بكفاءة عالية.

3. أسلوب الإسقاطات: وغالبا ما تعتمد طرق الإسقاط على استقراء الاتجاهات الماضية. إلاّ أن طرق الإسقاط قد تعتمد في كثير من الأحيان على نموذج قياس يضم عددًا من العلاقات، من أهمها :

-التعريفي؛ وهو الذي يعبر عن علاقات توازنية معينة بين المتغيرات.

-السلوكي: وهو الذي يعكس السلوك المتوقع، وغالبًا ما يؤخذ السلوك الرشيد كأساس لتحديد العلاقات.

-الفني: وهو الذي يعكس العلاقة بين المدخلات والمخرجات المختلفة المتوقعة في نظام ما.

وتسود اليوم أساليب مستحدثة للتنبؤ بالمستقبل وتصميم الدراسات المستقبلية، ومن أساليب الدراسات المستقبلية الحديثة؛ الأساليب التالية:[42]

1. أسلوب السلاسل الزمنية Time seriesmethods: وهي من الطرق التي لا تقوم على نماذج سببيةcausal، تعبر عن سلوك المتغير أو المتغيرات موضع الاهتمام وفق نظرية ما، وإنما تشمل طرقًا ونماذج تتفاوت من حيث التعقيد وكم المعلومات المسبقة المطلوب. ومنها نموذج الخطوة العشوائية randomwalk model الذي يفترض قيمة المتغير في فترة ما هي قيمته التي تحققت في فترة سابقة، ولذا يطلق عليه نموذج عدم التغير. ومنها طرق إسقاط الاتجاه العامTrend extrapolation بالمتوسطات المتحركة وتحليل الانحدار. ومنها أساليب تفكيك السلاسل الزمنية للتنبؤ

بالتغيرات الموسمية. ومنها طرق التمهيد للسلاسل الزمنية، والطرق المعتمدة على النماذج الإحصائية للسلاسل الزمنية.

2. أسلوب الإسقاطات السكانية: ومن أشهرها ما يعرف بطريقة الأفواج والمكونات cohort-component method، حيث يتم حساب النمو في عدد السكان من مكونات محددة كالمواليد والوفيات والهجرة إلى الدولة والهجرة من الدولة، وحيث يمكن التنبؤ بعدد السكان في كل فوج أو شريحة عمرية – جنسية استنادًا إلى معدلات الخصوبة ومعدلات البقاء على قيد الحياة حسب العمر والجنس.

3. أسلوب النماذج السببيةcausal models: وهنا يتم التنبؤ بقيم متغير ما أو مجموعة متغيرات باستعمال نموذج يحدد سلوك المتغيرات المختلفة استنادًا إلى نظرية معينة. ومن أشهر هذه النماذج نماذج الاقتصاد القياسيEconometricModels، ونماذج المدخلات والمخرجات-input output models، ونماذج البرمجة ProgrammingModels أو الأمثليةoptimization، ونماذج المحاكاةSimulation Models ، ونماذج ديناميات الأنساقsystemsdynamicsالتي تعد دراسة «حدود النمو» لنادي روما من أشهر تطبيقاتها.

4. أسلوب الألعاب أو المباريات gaming: وهي طريقة تعتمد على المحاكاة ليس فقط من خلال الباحث في الدراسات المستقبلية، بل وكذلك بإشراك الناس فيها كلاعبين يقومون بأدوارroleplaying يتخذون فيها قرارات أو تصرفات، ويستجيبون لقرارات وتصرفات غيرهم، ويبدون رد فعلهم إزاء أحداث معينة. ويتم

استخراج الصور المستقبلية البديلة باستعمال نماذج لفظية أو رياضية أو كمبيوترية أو محاكيات فعلية.

5. أسلوب تحليل الآثار المقطعية cross impact analysis: وهو أسلوب لفهم ديناميكية نسق ما، والكشف عن القوى الرئيسية المحركة له. كما أنه أسلوب لفرز التنبؤات الكثيرة والخروج منها بعدد محدود من التنبؤات، وذلك بمراعاة أن احتمال وقوع بعض الأحداث يتوقف على احتمال وقوع أحداث أخرى. أي أنها طريقة لأخذ الترابطات وعلاقات الاعتماد المتبادل بين الظواهر أو المتغيرات أو التنبؤات في الحسبان.

6. الأساليب التشاركية participatorymethods: ويقصد بها طرق البحث المستقبلي التي تتيح المجال لمشاركة القوى الفاعلة أو الأطراف المتأثرة بحدث ما في عملية تصميم البحث وجمع المعلومات اللازمة له وتحليلها واستخراج توصيات بفعل اجتماعي معين بناء على نتائجها. وهذه الطرق أكثر استعمالًا من الناشطين في مجال المستقبليات، أي من يقومون بالدراسات المستقبلية ذات التوجه الاستهدافي والتي يرتبط فيها الاستهداف بممارسات عملية للترويج والتعبئة والتحريض على اتخاذ فعل اجتماعي يساعد على تحقيق صورة مستقبلية مرغوب فيها أو على منع حدوث صورة أو صور مستقبلية غير مرغوب فيها. ومن أمثلة هذه الطرق التشاركية في البحث المستقبلي طريقة الممارسة المستقبلية بالمشاركة participatory future praxis، وطريقة البحث التشاركي الموجه للفعل الاجتماعيParticipatory action research، وطريقة ورش عمل المستقبلياتfutures workshops ، وطرق إجراء التجارب الاجتماعية social experiments، والبحوث المستقبلية الاثنوجرافية ethnographic

futures researchالتي تركز على استطلاع المستقبلات الثقافية – الاجتماعية من خلال مقابلات مطولة ومفصلة ومتكررة مع مجموعة من الأفراد المشتغلين بظاهرة ما (كالبحث والتطوير التكنولوجي) أو الذين يحتمل تأثرهم بحدث ما.

7. أساليب التنبؤ من خلال التناظر والإسقاط بالقرينة: وتقوم أساليب التناظر أو المشابهةMethod Of Analogy على استخراج بعض جوانب الصور المستقبلية استنادًا إلى أحداث أو سوابق تاريخية معينة والقياس على ما فعلته دول معينة في مرحلة أو أخرى من مراحل تطورها لإنجاز معدل ما للنمو الاقتصادي مثلًا .أما أساليب الإسقاط بالقرينة، فهي تقوم على افتراض أن ثمة ارتباط زمني بين حدثين، حيث يقع أحدهما قبل الآخر عادة، بحيث يمكن التنبؤ بالحدث اللاحق استنادًا إلى الحدث السابق. فمثلاً يمكن أن يؤخذ التقدم في الطائرات الحربية من حيث السرعة قرينة على التقدم في سرعة الطائرات المدنية. ومن أشهر هذه الطرق طريقة السلاسل الزمنية القائدةleadingSeriesالتي كثيرًا ما استخدمت في التنبؤ بالدورات الاقتصادية، حيث يؤخذ بطء النمو في متغيرات اقتصادية معينة (كالمخزون أو التعاقدات الجديدة) قرينة على إبطاء حركة النشاط الاقتصادي في مجموعه.

8. أساليب تتبع الظواهر وتحليل المضمون: ويقصد بطريقة تتبع الظواهر monitoringاستخدام طائفة متنوعة من مصادر المعلومات في التعرف على الاتجاهات العامة لمتغيرات معينة، مع افتراض أن الاتجاهات العامة التي يتم الكشف عنها هي التي ستسود في المستقبل. وقد استخدم هذه الطريقة الباحث المستقبلي المشهورNaisbittفي التوصل إلى ما أطلق عليه الاتجاهات العامة الكبرىMegatrends. أما طريقة تحليل المضمون Content Analysis فهي

تركز على تحليل مضمون الرسائل Messages التي تحملها الصحف والمجلات والبحوث والكتب وما يذاع في الإذاعة والتليفزيون وغيرها، وتسجيل مدى تكرر عبارات أو كلمات تحمل قيمًا أو توجهات معينة، وبناء استنتاجات مستقبلية على تحليل هذه التكرارات.

9. أسلوب تحليل آراء ذوي الشأن والخبرة: ومن هذه الأساليب طريقة المسوحsurveysالتي يتم فيها استطلاع رأي أو توقعات عينة من الأفراد سواء من خلال استبيان يرسل بالبريد أو يتم تعبئته عن طريق المقابلة الشخصية أو الاتصال الهاتفي. ومنها طريقة ندوة الخبراء panel discussion وطريقة الاستثارة الفكرية أو القدح الذهني brainstorming، وطريقة دلفايdelphimethodالتي يتم فيها استطلاع الآراء والتحاور بشأنها، مرة واحدة كما في ندوة الخبراء والاستثارة الفكرية أو عدة مرات كما في طريقة دلفاي.

10. أسلوب السيناريوهاتscenarios: والسيناريو وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقًا من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض. والأصل أن تنتهي كل الدراسات المستقبلية إلى سيناريوهات، أي إلى مسارات وصور مستقبلية بديلة .فهذا هو المنتج النهائي لكل طرق البحث المستقبلي. ولهذا فإن بعض المستقبليين يعتبرون السيناريو الأداة التي تعطي للدراسات المستقبلية نوعًا من الوحدة المنهجيةmethodologicalunity، وذلك بالرغم من أن الطرق التي قد تستخدم في إنتاج السيناريوهات تتنوع تنوعًا شديدًا. فالسيناريوهات يمكن أن تبنى بأي من الطرق السابق ذكرها أو بمجموعات معينة منها. كما أنها يمكن أن تبنى بطرق أخرى لم تتعرض لها كالسيناريوهات التي تعتمد اعتمادًا كليًا على الخيال العلمي أو الإبداع

الأدبي أو الحدس أو الاستبصارforesightوالتي قد ينفرد بكتابتها شخص واحد – لا فريق من الباحثين.

وعمومًا، فإن السيناريوهات من أكثر الأساليب الاستشرافية استخداما في مجال البحوث الإنسانية والاجتماعية فهي تصف إمكانات بديلة للمستقبل، وتقدم عرضًا للاختيارات المتاحة أمام الفعل الإنساني، مع بيان نتائجها المتوقعة بحلوها ومرها. وقد ينطوي تحليل السيناريوهات على توصيات ضمنية أو صريحة حول ما ينبغي عمله، ولكن ذلك يتوقف –كما سبق بيانه – على التوجه الذي يأخذ به واضعوا السيناريوهات، أي ما إذا كان توجهًا استطلاعيًا أم توجهًا استهدافيًا.

فيقصد بالسيناريو وصف رؤية مستقبلية محتملة الحدوث لظاهرة معينة مع وصف التسلسل أو التتابع الزمني المحتمل لها ومحاور اتجاهاتها المأمولة، و ذلك في ضوء المعطيات الحالية للظاهرة و انطلاقا من وضع افتراضي قابل للحدوث و ذلك لتحقيق الأهداف المرجوة للرؤية المرغوب فيها. وينبغي على الباحث وضع عدد من السيناريوهات مع مراعاة أن يكون بينها قدر كاف من التباين نظرا لعدم التأكد من الصعوبات التي قد تحدث مستقبلا و تؤثر بالسلب أو الإيجاب على التتابع الزمني و محاور اتجاهات الظاهرة قيد البحث. و مما لا شك فيه أن نجاح السيناريو يتوقف على مدى واقعيته و بعده عن الخيال البحت وسهولة فهمه و قدرته على رصد و تحليل اتجاهات الظاهرة، ناهيك عن فائدته في صناعة القرارات و عمليات التخطيط على المستويين المحلي و القومي.[43]

إن أسلوب السيناريوهات– إذا– يمكّن من دراسة العديد من بدائل المستقبَل و يوسع آفاق الأحداث المدروسة و بالتالي يزيد من احتمال تحديد التطورات التي قد تؤثر في التنظيم القائم بالتخطيط و تفرض عليه اتخاذ تدابير استراتيجية.[44]

تعتمد الكثير من الدراسات المعنية بالتنظيم- في بعض الأحيان -على الخبراء في اتخاذ القرارات الحاسمة التي تعتمد على الأساليب الكيفية، مثل الحكم الشخصي، الحقائق، الآراء، التجربة، و يبدو أن أهمية الأساليب الكيفية تتمحور حول اتخاذ القرارات الخاصة بتحديد الوسائل المتبعة لتحقيق الأهداف.[45]

ويستند مدخل السيناريو إلى جملة معارف الباحث وتصوراته الخاصة والعلمية عن الموضوع كأساس يحدد بدائل المستقبل الممكنة و استشراف المسارات التي تسلكها الظاهرة المدروسة، في شكل سيناريوهات تستعين بآراء الباحثين و الكتاب و رؤيتهم للتطورات المستقبلية من خلال أبحاثهم.

يمر بناء و تحليل السيناريوهات بعدد من المراحل هي:[46]

المرحلة الأولى: وصف الوضع الراهن و الاتجاهات العامة للظاهرة المدروسة اعتمادا على قاعدة المعلومات المكانية و الكمية.

المرحلة الثانية: فهم ديناميكية النسق و القوى المحركة له اعتمادا على تحديد العوامل المؤثرة في ظاهرة الدراسة.

المرحلة الثالثة: تحديد البدائل الممكنة اعتمادا على مرحلتي الوصف و الفهم للنظام المكون للظاهرة.

المرحلة الرابعة: اختيار عدد محدود من البدائل بعد فرز السيناريوهات التي تم إعدادها بشرط أن يكون هناك تباين واضح بين البدائل المختارة.

المرحلة الخامسة: كتابة السيناريوهات و تحليل نتائجها.

خاتمة:

لقد تجلت لنا أهمية الدراسات المستقبلية كاتجاه جديد في ميادين المعرفة يزداد الاهتمام به في الدول المتقدمة ويترسخ دوره في عملية صناعة القرارات سواء على مستوى الدول أم على مستوى المؤسسات المختلفة. فهو مجال يشهد تطورات متلاحقة في منهاجياته وأساليبه وتطبيقاته مما جعله يحظى بمكانة مرموقة بين سائر ميادين المعرفة.

فما توفره الدراسات المستقبلية من صور عديدة للمستقبل، تعمل من خلال سياسات معينة على الاقتراب من البديل الأفضل الذي يحقق للدول غاياتها في تحقيق التنمية والقضاء على عوامل التخلف لديها. هذا فضلاً عن تطور أدوات المعرفة، وخاصة أدوات التنبؤ وقياس الظواهر (الكمية والكيفية)، التي ساعدت على ارتقاء العلوم الاجتماعية إلى مصاف العلوم الدقيقة.

ويمكن استخدام الأساليب المنهجية للبحوث المستقبلية في مختلف عناصر العملية الإعلامية، لهذا لابد من إدماج هذا الميدان في بحوث الإعلام بالدول العربية و الجزائر بخاصة باعتباره علما يدعم العلوم الاجتماعية والإنسانية واستخدامه سيحقق نجاحات هامة في تغيير اتجاهات بحوث الإعلام والاتصال.

الهوامش

[1] - Klaus Bruhn .JENSEN ,***A hand book of media and communication research : Qualitative and Quantitative methodologies*** , London – New York : ROUTLEDGE , 2002, p.40.

[2] -عبد اللطيف دبيان العوفي، " **ملخص كتاب، البحوث النوعية في الدراسات الإعلامية: اتجاهات منهجية جديدة**"، *faculty.ksu.edu.sa/.../.doc*، تاريخ الزيارة 01/20/ 2017.

[3] - المرجع السابق.

[4] - المرجع السابق.

[5] -نصر الدين لعياضي،"**الرهانات الابستمولوجية والفلسفية للبحث الكيفي: نحو أفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية**"، *http://anfasse.org/index.php/2010-12-27-01-33-59/2010-12-05-18-31-21/4345-nasser-eddine-liyyadi*، تاريخ الزيارة 2017/05/22.

[6] -المرجع السابق.

[7] -نصر الدين لعياضي،"**علوم الإعلام والاتصال: من التفكير بالمنهج إلى التفكير في المنهجيات**"، في سعيد لوصيف وآخرون، التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري: التموقعاتالإبيستمولوجية والتقاطعات المعرفية، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، جامعة الجزائر 3، سبتمبر 2016، ص103.

[8] - فريال مهنا، **علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية**، دمشق :دار الفكر، 2002م، ص361 .

[9] -المرجع السابق، ص 361.

[10] - المرجع السابق، ص 361.

[11] -عواطف عبد الرحمان، **النظرية النقدية في بحوث الاتصال**، القاهرة:دار الفكر العربي، 2002م، ص44.

[12] -محمد فالح الجهني،"**الدراسات المستقبلية شغف العلم.. و .. إشكالات المنهج**"،العدد 175من مجلة المعرفة، . المدينة المنورة كلية التربية – جامعة طيبة، *http://uqu.edu.sa/page/ar/5227*، تاريخ الزيارة 2017/08/04.

[13] - Makridakis,spyros ,C,Wheel weight Steven, Forecasting methods and applications, United States :John Wiley & Sons Inc, 1978, P.4في شيم عبد الحميد قطب، **"العوامل المؤثرة على مستقبل الصحافة الحزبية في مصر"**، أطروحة دكتوراه في الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2005م، (غير منشورة)، ص4.

[14] -طارق عامر، **أساليب الدراسات المستقبلية**، عمان-الأردن: دار البازوري، 2008م، ص19-20.

[15] -المرجع السابق، ص19.

[16] - Charles. MACCIO, ***Maîtriser les mutations techniques: l'humanité face aux changements***, collection SUNTHESE, (Lyon, Bruxelles): Éditions CHRONIQUE SOCIALE ET VIE OUVRIÈRE, 1990, P 96.

[17] – عبد السلام بنعبد الله، " **تحرير المستقبل من الماضي ؟ تحرير الماضي من المستقبل؟**"،مجلة أبواب، دار الساقي، بيروت، العدد25، صيف 2000م، ص21 – 22.

[18] – محمد ابراهيم رمضان أحمد، **البحث العلمي: أسس وتحليل وتطبيقات**، الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية، 2007م، ص38-39.

[19] – خالد صلاح الدين حسين،**"نحو استراتيجية إعلامية لنقل التراث إلى الأجيال"**، مجلة الفن الإذاعي، اتحاد الإذاعة والتلفزيون، القاهرة، العدد 173، جانفي 2004م، ص 100.

[20] – محسن خضر،**"كيف تستشرف المستقبل العربي ؟"**، مجلة العربي، الكويت، العدد 489 ،أوت 1999م، ص 132.

[21] – إدوارد كورنيش، **الاستشراف مناهج استكشاف المستقبل**، ترجمة حسن يوسف، بيروت: الدار العربية ناشرون، 2007م، ص351.

[22]– محمد ابراهيم رمضان أحمد، مرجع سابق، ص37.

[23]– شيم عبد الحميد قطب، مرجع سابق، ص2-3.

[24]– محمد ابراهيم رمضان أحمد، مرجع سابق، ص37-38.

[25]– شيم عبد الحميد قطب، مرجع سابق، ص3.

[26]– المرجع السابق، ص3.

[27]– جورج طعمة و سعد حافظ، **الدراسات المستقبلية وتحديات العصر**، دمشق-سوريا: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر والمعهد العربي للتخطيط، 1988م، ص30-35.

[28]– شيم عبد الحميد قطب، مرجع سابق، ص3.

[29]– جورج طعمة و سعد حافظ، مرجع سابق، ص26.

[30]– محمد بن سعيد الفطيسي،" **الغرب وتأسيس مناهج الدراسات المستقبلية في العصر الحديث**"، موقع الخليج في الإعلام: 19-07-2010، *http://www.gulfinthemedia.com/index.php?m=opinions&id=1198680&lim=135&lang=ar&tblpost=2010_07&PHPSESSID*، تاريخ الزيارة :2017/07/20.

[31]–المهدي المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى: مستقبل الماضي وماضي المستقبل**، الجزائر:شركة الشهاب، 1991م.

[32]–المرجع السابق، ص 15.

[33]– نزيهة أحمد التركي، "**مستقبلنا هو حاضرنا وماضينا: علم المستقبل وأهمية الدراسات الاستشرافية**"، الحوار المتمدن-العدد: 2924 - 2010 / 2 / 22، *http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=204775*، تاريخ الزيارة:2017/07/15.

[34]– عبد العزيز جراد، **العلاقات الدولية**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1992م، ص 103.

[35]– فاروق أبو زيد، **مدخل إلى علم الصحافة**، ط2، القاهرة: عالم الكتب، 1993م، ص28.

[36]- Philippe. BRETON et Serge. PROULX, ***l'explosion de la communication: la naissance d'une nouvelle idéologie***, collection Sciences et société, Paris – Montréal: LA DECOUVERTE et BOREAL,1998, P.256.

[37]- Ibid, P.262 .

[38]–فاروق أبو زيد، مرجع سابق، ص 28.

[39]- Everett M. ROGERS and all,Research methods and the new media, (new York, London):THE FREE PRESS, 1988, PP. 37-38.

[40]–فاروق أبو زيد، مرجع سابق، ص 28 .

[41] – محمد فالح الجهني، "**الدراسات المستقبلية شغف العلم.. و.. إشكالات المنهج**"، مرجع سابق.

[42] – المرجع السابق.

[43] –محمد ابراهيم رمضان أحمد، مرجع سابق، ص40.

[44] –جون ميدلتون، **نهوج في تخطيط الاتصال**، ترجمة اليونسكو، سلسلة دراسات في تخطيط الاتصال، فرنسا: اليونسكو، 1985م، ص 106، 159.

[45] –اسماعيل قيرة، "**الاستخدامات الحديثة لتقنية ديلفي في الدراسات الاجتماعية**"، في فضيل دليو وعلي غربي، **أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية**، سلسلة العلوم الاجتماعية (المنهجية 3)، قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 1999م، ص263.

[46] -محمد ابراهيم رمضان أحمد، مرجع سابق، ص40-41.